الطفل العدواني والطفل الضحية

الطفل العدواني:

هو الطفل الذى تملكه رغبة قوية فى السيطرة على الأطفال الآخرين وإصدار الأوامر إليهم وإذلالهم إذا شعر بأنهم أقل منه قوة أو أصغر منه سنًّا. وهو يفعل ذلك لشعور ضمنى بأنه فى عالم يعاديه، وبأنه إذا لم يمارس عدوانيته فإنه قد يصبح ضحية لعالم قاس لا يرحم. ولذلك تجده لا يتعاطف مع الطفل الضحية الضعيف ويقنع نفسه بأن الطفل الضحية يستحق الوضع الذى هو فيه.

ويقع جانب من المسئولية عن تنمية هذا الشعور عند الطفل على الأهل الذين لا يرسمون حدودًا لسلوكه وإنما يشجعونه على ممارسة العدوانية ظنًّا منهم أن العدوانية مظهر من مظاهر الشخصية القيادية القوية. وربما يكافئون هذه النزعة عند الطفل بشراء الهدايا له أو بإشعاره بأنه ذو هيبة وسطوة.

ويظهر الطفل العدوانى افتقارًا واضحًا للإحساس بالخطأ والصواب. وترجع مسئولية ذلك أيضًا على الأهل الذين لا يرسمون لأطفالهم الحدود الفاصلة بين السلوك المقبول والسلوك غير المقبول ظنًّا منهم أن رسم هذه الحدود يقيد الطفل ويحد من قدرته على الإبداع.

الطفل الضحية:

يعاني الطفل الضحية درجة لا يستهان بها من عدم الشعور بالأمان. وهو كثير الحذر والحساسية ويميل إلى الهدوء ولا يظهر قدرًا كبيرًا من الاحترام لذاته والثقة بنفسه، ولذلك نجد أن له عددًا صغيرًا من الأصدقاء. وهناك أيضًا نجد أن الأهل والمعلمين يتحملون قدرًا من المسئولية في تغذية هذا الشعور بعدم الأمان عند الطفل بتحديد أهداف غير واقعية ويدفع الطفل دفعًا إلى تحقيقها. وهم يدفعون الطفل إلى الهدوء والحساسية المفرطة وانخفاض درجة احترام الذات بالمغالاة في ردود أفعالهم لأخطائه وبرفضه وعزله والتشدد في معاملته.

وقد يعود السبب في سلبية الطفل إلى ميل الأهل المفرط إلى حمايته لأنه الطفل الوحيد مثلاً أو لأنه ضعيف البنية أو لأن الأهل يجدون لذة في الشعور بأنهم يقومون بما يجب أن يقوموا به من حماية الطفل.

بعض نظريات تفسير العدوان

١ - نظرية التحليل النفسى

صاحب هذه النظرية هو العالم (فرويد) والذى يعتقد أن الإنسان يولد وهو مزود بغريزتين:

الأولى غريزة العدوان ـ الثانية غريزة الجنس.

وتظهر غريزة الجنس فى إشباع الحاجات الأساسية التى تشمل الطعام والشراب والجنس، أما غريزة العدوان فتتمثل فى التعبيرات والمظاهر العدوانية التى يوجهها الفرد للآخرين وإن لم تجد متنفسًا اتجاه الآخرين فإنها توجه للفرد نفسه وقد قسم فرويد العدوان إلى:

أ- العدوان البديل: وهو السلوك الموجه نحو مصدر بديل لمصدر العدوان الرئيسى.

ب- العدوان المباشر وهو السلوك الموجه نحو مصدر التهديد.

جـ - العدوان الخيالى:

وهو العدوان الذى يتم به توحد الفرد مع أشخاص أو مع ممثل السينما من خلال المشاهدات للأفلام السينمائية العنيفة أو التى تميل للعنف.

ويرى كثير من العلماء ومنهم "Kay Fman" ١٩٨١ أن هذه النظرية تقوم أساسًا على مفاهيم غيبية يصعب تجريبها أو اختبارها كما أن هذه المفاهيم والافتراضات لا تفيدنا في علاج العدوان.

٢ - النظرية السلوكية

صاحب هذه النظرية العالم "ب.ف سنكر" الذي يبني نظريته أو على افتراض أن معظم السلوك متعلم ومكتسب وبما أنه مكتسب يمكن تعديله أو تغييره.

ويشير البحث إلى أن الفرد أو الطفل يتعلم العدوان من خلال البيئة التي يعيش فيها وذلك عن طريق مشاهدة النموذج والذي قد يكون من الوالدين أو المعلم أو بطلاً سينيمائيًا. فحينما يشاهد الطفل أحد الوالدين مثلاً يصدر عدوانًا ما فإنه بصورة غير مباشرة يجيز العدوان لطفله؛ وذلك لأن الطفل سيقوم بسلوك العدوان إذا ما أتيحت له الفرصة أو إذا ما أحبط من مصدر ما. كما أشار (باندورا) إلى أن سلوك العدوان سيقوى لدى الطفل إذا ما شاهد النموذج يعزز في ممارسته للعدوان بالإضافة إلى إمكانية التقليد أو التعلم بالنموذج ستقوى إذا ما كان المقلد ذا مكانة اجتماعية مرموقة أو أنه مصدر التعزيز لهذا الطفل.

ويلخص باندورا (١٩٣٧) ما توصل إليه علماء وأتباع نظرية التعليم الاجتماعي على أن العدوان:

أ- يتم تعلم العدوان من خلال مراقبة نموذج ما.

ب- يساعد الفرد سلوك العدوان إذا ما أتيحت الفرصة لذلك فى البيئة (زيادة إحباطات البيئة).

جـ- يقلد الطفل عدوان النموذج (الأب، الأخ، ممثل مشهور، .....) إذا ما رأى النموذج يعزز فى عدوانه.

د- يقلد الطفل عدوان النموذج إذا كان شخصية مهمة بالنسبة للطفل وأنه مصدر للتعزيز.

٢ ـ النظرية المعرفية.

تشير هذه النظرية إلى أن الطفل يشكل سلوك العدوان إذا ما تعرض إلى نقص فى المعلومات التى يحتاج إليها وهذا النقص فى المعلومات حول قضية ما تثير لديه نوعًا من القلق وعدم التوازن dis-equalibruam ولتخلاص من هذا التوتر والقلق قد يلجأ إلى البحث والتنقيب فى البيئة المحيطة لإيجاد جواب لتلك القضية وبالتالى يعود حالة التوازن المعرفى Equalibratom التى تخلصه من قلقه، ولكن فى حالة كون المهمة أعلى كثيرًا من مستوى قدرات الفرد وتمثل تحديًا عاليًا له لا يستطيع معها الوصول إلى حل فإنه يشعر معها بالقلق بالإضافة إلى أن الطفل قد يظهر سلوكًا انطوائيًا وعدم تكيف مع البيئة نتيجة عدم توفر تلك المعلومات اللازمة. لذلك يرى كثير من المعالجين المستخدمين الأسلوب المعرفى فى علاج العدوان ضرورة اللجوء إلى

مناقشة الطفل بأسباب هذا السلوك وتقديم المعلومات الضرورية كما يستخدم أسلوب التخيل فى وصف السلوك أو المثير المسبب للعدوان وكيف يستجيبون له بطريقة عدوانية. كما يمكن استخدام أسلوب التخيل لنفس الموقف ولاستجابة له بأسلوب هادئ.

ومن هؤلاء العلماء Machin Baum الذى استخدم استراتيجية قف وفكر واستمع مع أطفال عدوانيين. وحينما يقوم الطفل بسلوك العدوان يطلب منه أن يقف وأن يفكر وأن يستمع فى مسببات هذا السلوك مع إفهام الطلاب أن التسرع فى الاستجابة هو سبب قوى وراء هذا السلوك. وتشير النتائج إلى أن سلوك العدوان قد تقلص لدى هؤلاء الأطفال كما أن تحصيلهم قد تحسن.

كما استخدم (Campet,al.1977) أسلوب Thin kloudly أوفكر بصوت مرتفع فى معالجة أطفال عدوانيين وكان يطلب من الأطفال إعادة النظر فى المواقف التى يحدث فيها العدوان وإعادة النظر فى استجابتهم لذلك.

ويفسر علماء النفس الاجتماعى العنف والعدوان من منظور المقاصد الكامنة وراء السلوك البشرى، فإذا كانت المقاصد الكامنة وراء السلوك منطوية على إلحاق الأذى المتعمد بالآخرين والضرر المهلك للحرث والنسل فإن ذلك يعتبر عدوانًا بحتًا.

حيث يميز علماء النفس بين أنماط السلوك العدوانى فهناك السلوك العدائي Aggression Hostile ذلك العدوان الذى يستهدف ويؤدى إلى إيذاء شخص ما أوتدمير شيء ما، وقد يكون هذا العدوان لفظيًا أو الاثنين معًا، ثم يميزون العدوان الإيذائي instrumental Aggression ويستخدم فيه المعتدى سلوكه ليحقق هدفًا معينًا، ويشمل ذلك دفاعه عن الذات. وهذا النمط ليس بالضرورة أن يكون مكروهًا ويرجع ذلك إلى تعليم الآباء لأبنائهم كيفية الاعتماد على أنفسهم، فالعدوان فى هذه الحالة غرض ولا يعتبر هدفًا وغاية فى حد ذاته وإنما يهدف إلى هدف آخر. فالعدوان إذن يتراوح بين كونه غريزة أو رد فعل أو سلوك متعلم ويهدف إلى إلحاق الضرر الجسمى أو النفسى للآخرين: كما أنه قد يكون بناءً يهدف إلى إثبات الذات والدفاع عن النفس.